16 ème Année No. 763

Lundi — 16 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ١٦ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أســـئلة فى سؤالين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

سؤال عن الله ، وسؤال عن «الفاروق» خليفة رسول الله .

أما السؤال عن الله فهو من الأديب «عبد الستار شمس الدين» الطالب بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، وفيه يقول : « إن الدكتور عبد الرحمن بدوى ألقى محاضرة عن الجانب الصوفى من حياة النبي فى قاعة (وست) بالجامعة الأمريكية فقال : إن محمداً رأى ربه عند ما بلغ الغاية من عبادته الصوفية ، واستشهد بالآيات التالية من سورة النجم ... « وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى » .

فإذا كان ما قال الله صحيحاً فهل الله جسم ؟ وهل هذه الصفة الجسمية تجعله واجب الوجود ؟ وهل تتعارض هذه مع الآية : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

والمشهور المتفق عليه بين المفسرين — ومنهم أهل السنة والشيعة والفلاسفة — أن المقصود بالرؤية هنا هو الروح الأمين رسول الوحى جبريل : « إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » .

فالإمام الرازى وهو من الفلاسفة يقول : « والمشهور أن هو ضمير جبريل ... والظاهر أن المراد محمد صلى الله عليه وسلم . معناه استوى بمكان — وهو بالمكان العالى رتبة ومنزلة فى رفعة القدر — لا حقيقة فى الحصول فى المكان . فإن قيل : كيف يجوز هذا والله تعالى يقول : ولقد رآه بالأفق المبين إشارة إلى أنه رأى جبريل بالأفق المبين ؟ نقول : وفى ذلك الموضع أيضاً نقول كما قلنا هاهنا أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالأفق المبين ، يقول القائل : رأيت الهلال . فيقال له : أين ؟ فيقول : فوق السطح . أى أن الرائى فوق السطح لا المرئى » .

والشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى من كبار علماء الإمامية يقول فى مجمع البيان : « معناه : ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه إليكم من الأحكام إلا بوحى من الله يوحى إليه أى يأتيه به جبرائيل وهو قوله : علمه شديد القوى يعنى جبرائيل ، أى القوى فى نفسه وخلقته ، عن ابن عباس والربيع وقتادة » .

وهذا أيضاً هو المعنى المشهور بين أهل السنة من الأقدمين والمحدثين .

أما رؤية الله — من حيث هى بحث مستقل عن تفسير هذه الآية — فهى موضوع كثر فيه الخلاف بين المنزلة والمتكلمين .

فالمنزلة عامة ينفون الرؤية لأنها فى رأيهم لا تكون إلا لمحسوس .

والمتكلمون لا ينفونها ، بل يجيزون رؤية كل موجود على اعتبار أن الرؤية نوع من العلم ، وأن العلم يحصل بغير اتصال النور بين الرائى والمرئيات .

ومن الفلاسفة من يوافق المتكلمين فى ذلك على هذا الاعتبار .

قال الفارابي : « الحق الأول لا يخفى عليه ذاته ، وليس ذلك باستدلال . فهو عاقل على ذاته مشاهدة كماله من ذاته ، فإذا تجلى لغيره مغنياً عن الاستدلال ، وكان بلا مباشرة ولا مماسة كان مرئياً لذلك الغير . . . وإذا كان فى قدرة الصانع أن يجعل قوة هذا الإدراك فى عضو البصر الذى يكون بعد البعث لم يبعد أن يكون تعالى مرئياً يوم القيامة من غير تشبيه ولا تكييف ولا مسامعة ولا محاذاة تعالى عما يشركون » .

ويتكلم أبو البركات هبة الله فى كتابه المعتبر عن المدركات بغير الآلات ، فيقول : « إنما يتم إدراكها للنفس بذاتها عند تجردها عن آلاتها بالتفاتها عنها إلى ذاتها » .

ثم يقول : « حتى تنتهى إلى ما يرى كل شىء ويصدر عنه وجود الأنوار بأسرها ، خفيها وظاهرها ، وعلتها ومعلولها ، فهو نور الأنوار كما هو مبدأ المبادى ، فهو أبعد من أن يرى بالعين ، وأحق بأن يرى ، لكونه الأظهر فى الوجود ، والأسبق والأحق بالوجود . فالنفس إذا تطلعت بذاتها نحو مبادئها وعادت بنظرها إلى جهة بدايتها انتهت بنظرها إليه واستعانت بمبادئها القريبة عليه » .

وبهذا المعنى يتفق المتكلمون والفلاسفة على أن رؤية الله علم لا يأتى من طريق العين كما نرى هذه المحسوسات . فليست هى ملازمة للتجسيد ولا تدل عليه . وما البصر الحسى نفسه إلا نوع من الترجمة يمثل لنا ما نحسه ولا يعطينا صورته على التحقيق ، فلا امتناع لقيام معنى الوجود الإلهى فى وجدان الإنسان على نحو من إدراك المعانى يخلو من كل تجسيد » .

ولا نعرف أحداً قال برؤية الله حساً غير جماعة المجسمة الذين يفهمون الوجه واليد كما يفهمون أعضاء الأجسام ، وهم فئة لا يؤبه لها فى العلم ولا فى الدين .

* * *

وأما السؤال عن الفاروق خليفة رسول الله ، فهو من الطالب الأديب « عبد المنعم محمد السيد » بالقسم التوجيهى بمدرسة دمياط الثانوية .

وفيه يسأل عن مهابة عمر فيقول : « أوردت فى الكتاب قصة النبى عليه السلام مع زوجته عائشة وسودة حين لطخت كل منهما وجه الأخرى بالحريرة . فضحك النبى ثم أمرهما بأن تغسلا وجوههما حين مر عمر فناداه النبى ... وهذه القصة اختلفت أنا والأستاذ فى تفسيرها لأننى أرى أنها لا تثبت هيبة النبى لعمر — وإن كان ذلك صحيحاً — لأننى أظن ظناً يرقى إلى مرتبة الاعتقاد أنه لو رأى رجل غير عمر ودعاه محمد رسول الله إلى منزله لأمر زوجتيه بأن تغسلا وجوههما ... » .

ونحن مع ترحيبنا بهذه الملاحظة وتقديرنا لذكاء الطالب النجيب فى التفاته إليها ، نحب أن نلفت نظره إلى شىء غاب عنه ، وهو يتكلم عن المهابة وما إليها .

فالمهم فى وصف المهابة وما يماثلها من الأحاسيس النفسية ، كوصف الجمال أو الدهشة أو الخوف ، إنما هو فيما يقوم بالنفس من آثارها قبل كل شىء .

فإذا قال لك أحد : إننى أحببت هذا المنظر لأنه جميل ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تحب جماله ولم تشعر بأنه جميل ، وإن خالفته كل المخالفة فى تصور الجمال .

وإذا قال لك أحد : إننى دهشت لهذا الخبر ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تدهش له ؛ لأنه لا يدهش .

وإذا قال لك أحد : إننى أخاف الظلام أو أخاف الفضاء الواسع ، أو أخاف الحجرات المغلقة ، فليس لك أن تكذب خوفه ، وإن جاز لك أن تكذبه فى أمثال هذه المواضع ولا تخاف وكذلك حين تقول لنا السيدة عائشة أنها هابت عمر وشعرت بأن النبى يهابه ، لا يحق لنا أن نقول لها : كلا . ليس فى الأمر ما يدعو إلى المهابة .

وينبغى أن نذكر فى هذه القصة — على الخصوص — أن السيدة عائشة امرأة ، وأن المرأة أحس لهذه المعانى وأفطن ؛ لأنها خلقت لتحس الرجل ، ولا سيما جانب المهابة والقوة فيه .

فإذا وقع فى نفسها أنها هابت عمر وشعرت بمهابة النبى له ، فليس المهابة دليل نفسانى أصدق من هذا الدليل ،

وأشار الطالب النجيب إلى قولنا بعد ذلك : « إن من أدب الرسول عليه السلام أنه كان يرعى تلك الهيبة رضى عنها واغتباطاً بها فى نصرة الحق وهزيمة الباطل وتأمين الخير والصدق

وإخافة أهل البغى والبهتان .

ثم سأل : ماذا نقصد بكلمة « أدب » بالضبط ؟ أحسن تقدير هو أم ماذا ؟

ويبدو لنا أن الذى دعا الطالب النجيب إلى هذا السؤال ما سبق إلى فهمه من أن الأدب لا يكون إلا من صغير لكبير.

والواقع أن الأدب صفة مطلوبة فى كل معاملة ، كما نطلب فى أدب الراعى نحو الرعية ، وأدب السيد نحو الخادم ، وأدب العظيم نحو الصغير .

وأدب النبى هنا هو أدب المربى الذى يتعهد أتباعه ومريديه فيهيئ كلا منهم لما يصلح له ، ويقوى فيه ما يصلح مع القوة ، ويضعف فيه ما ليس به صلاح له ولا لغيره . ومهابة عمر إنما هى مهابة للعدل والحق والإيمان ، فمن الخير أن يبقيها له وينتظر منها النفع للدين ومعتقديه .

وفى الأسئلة بقية ترجع إلى جملة من الكلام على صفات الفاروق ، بعد رواية ما قيل عن إقامته الحد على ولده عبد الرحمن

وهذه هى الجملة : « لو كان المصدر واحداً معروفاً بالحذق فى القصص لحسبناها من وضعه وتلفيقه . ولكنها سمعت من غير مصدر موثوق به ، فهى أقرب إلى الواقع » .

والسؤال هو : أنقصد أنها سمعت من مصدر غير موثوق به أم أنها سمعت من أكثر من مصدر واحد موثوق به ؟

وعلى قدر ما كان الطالب موفقاً فى سؤاله عن المهابة خانه التوفيق فى هذه الأسئلة . فلا يمكن أن يكون المقصود مصدراً واحداً ؛ لأننا استبعدنا ذلك ، ولا يمكن أن يكون عدة مصادر غير موثوق بها ؛ لأننا نقول إنها أقرب إلى الواقع ، ولا التباس بعد هذا فى المعنى لأننا نفى وحدة المصدر ، ونفى وضعه وتلفيقه ونقول قبل ذلك عن القصة « إننا لا نستغربها فى جميع تفصيلاتها إلا حين تطرأ عليها المبالغة التى تتسرب إلى كل خبر من أخبار البطولات المشهورة ... »

وبعد ، فهو على كل حال اجتهاد يدل على حب الفهم والاسترشاد

عباس محمود العقاد

من أحاديث الزواهرى : (*)

حكمة القـــدر

للاستاذ على الطنطاوى

دخل علينا أمس ، وكنا جماعة فى المجلس صديق لنا ، فقال : إن ابنة الأستاذ حبيب زحلاوى قد سقطت من الطبقة السادسة إلى الشارع ! فارتمنا جميعاً ، وأعظمنا الخطب ، وكنا نعرفها طفلة حلوة ملء إهابها الطهر والجمال والنشاط ، فلم نستطع أن نتصورها وهى مزق من اللحم قد اختلط بعضه ببعض ، ووجمنا وكانت سكتة لم يقطعها إلا ضحك صديقنا المخبر ، فعرفنا أنها مزحة ثقيلة من مزحاته ، وأقبلنا عليه نسبه ونشتمه ، فقال : والله ما كذبت عليكم ، ولقد وقعت من الطبقة السادسة ولكنها لم تصب بشىء ، وهى سليمة ...

فصرخنا جميعاً : سليمة ؟ ! قال : نعم والله . ألا تصدقون ؟ إنها وقعت على حبال الغسيل الممدودة بين الشرفتين حيال الطبقة الخامسة ، فعاقتها قليلا ، ونفذت منها إلى حبال الطبقة الرابعة ، وما زالت تمر من حبال إلى حبال ، حتى إذا بلغت الشارع ، كانت سقطتها على كومة من الرمال ، صبتها سيارة صباح ذلك اليوم ، فلم تصب بأذى .

ومضى يحلف ويذكر الإيمان أن الذى يرويه هو الصدق والحق ، وأن صبياً لصديق آخر لا أسميه لئلا أسوءه ، وأذكره بمصابه ، وقف على مكتب أبيه يلعب ، فرأى صورة معلقة بالجدار ، فوثب يريد أن يصل إليها ، فوقع على أرض الغرفة ، وكانت من البلاط ، وكانت السقطة على يافوخه ، فمات لساعته ...

وقال معلقاً ومتفلسفاً : ففيم إذن نفكر وندبر ، ما دام لا ينفعنا فكر ولا يفيدنا تدبير ، ولم لا ندع الأمور للقدر ونتركها تجرى فى أعنتها كما يريد لها مجريها ، ما دمنا لا نملك أنفسنا ولا نعرف مصائرنا ، وما دام هذا الكون كالمعمل الضخم ،

(*) سجل فى مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى فى القدس .